التمثيلُ وأبعادُهُ الحِجاجية في القُرآنِ الكريم-دراسةٌ في الشكلِ والوظيفةِ

م.م. سحر أحمد راضي
Sahar.a.r@utq.edu.iq
جامعة ذي قار/ كلية التربية الأساسية

الملخص

تتخلص فكرة الحجاج بكونه فعالية خطابية وممارسة فكرية يعتمدها المتكلم للتأثير في المتلقي بهدف إقناعه أو تغيير معتقده أو سلوكه؛ فهو يُثبت دعوى ويصحح معنى معتمداً على وسائل وتقنيات بلاغية، والتمثيل إحدى هذه التقنيات المعتمدة لإيقاع التأثير والاقناع، والبحث الموسوم بـ (التمثيلُ وأبعادُهُ الحِجاجية في القرآنِ الكريم – دراسةٌ في الشكل والوظيفة) سَلطَ الضوءُ عليه كآلية من آليات الحجاج البلاغية في الخطاب. وتكمن أهمية البحث في دراسته لقوة الاقناع بالتمثيل المتأتية من مصدر الصورة التمثيلية من جانب؛ كونّها مستمدة من حياة المتلقين العملية وممارستهم المعيشية ومن سلوكهم اليومي، أضف إلى ذلك الجوانب المجردة من حياتهم، والمتمثلة بالمجال الثقافي والعقدي والرمزي، ومن بنيته من جانب آخر، فلما كان التمثيل صورة، وبنية الصورة تتكون من جزئيين جزء مصرّح به أو منطوق من صنع المتكلم، والجزء الاخر الضمني من صنع المتلقي؛ أعطاها قوة إقناعية؛ إذ من طريقة الصياغة التمثيلية ينشأ المعنى الأول الصريح، ومن المعنى الصريح ينشأ المعنى الثاني الضمني؛ فيستكمل التمثيل أركانه ويسد المحل الشاغر ويؤدي وظيفته الحِجاجية. أضف لذلك ان المصدر المستمد منه التمثيل أعطاه قوة حِجاجية؛ فقد اعتمد البحث على النصوص القرآنية؛ كونها أصدق مصدر صوّر ومثّل حياة الناس في مختلف مجالاتها الحسية والثقافية والعقدية والرمزية. واعتُمِدَ الاسلوبُ الوصفي التحليلي كمنهج لدراسة البحث.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، التمثيل الحجاجي، الاقناع، الاقتناع، الحجة، المثل، البنية.

The representation and its argumentative dimensions in the Holy Qur'an – A study of form and function

Asst. Lect Sahar Ahmed Radhi
College of Basic Education/ University of Thi Qar

Abstract

The idea of argumentation is that it is a rhetorical activity and an intellectual practice that the speaker relies on to influence the recipient in order to convince him or change his belief or behavior. The

argumentative representation proves a claim and corrects a meaning based on rhetorical means and techniques, and considered one of these techniques adopted to influence and persuasion. Our paper research entitled (Representation and its argumentative dimensions in the Holy Qur'an – A study in form and function) shed light on the subject, because it considered one of mechanism of rhetorical argumentation in speech. The importance of the study lies in the fact that the paper is studying, on the one hand, the convening power of representation resulted from its material (the source from which the image of the argumentative representation is derived), because the convening power is derived from the practical life of the recipients, their living activities and their daily behavior, as well as from the abstract aspects of their life, represented by the cultural, ideological and symbolic field, and its structure on the other hand. Since the argumentative representation is an image, the convening power consists of two parts: one of them is expressed (explicit) or uttered by the speaker, the second not expressed (i.e. implicit) part is hidden. The last part motivates the recipient to search and discover it. The first explicit meaning comes from the representative formulation method, whereas the second implicit meaning results from explicit meaning. Creating it by the recipient, the representation has completed its components, filled its gaps, and performed its argumentative function. The source selected from the representation material increased the argumentative strength. The paper relied on the texts of Quran as they are the most truthful source that depicted and represented people's life in their various sensory, cultural, doctrinal, and symbolic fields. For studying the research, the author has used the descriptive analytical method.

Keywords: Argumentation, argumentative representation, persuading convincing, argument, proverb, structure.

المقدمة:

يُعرّف الحِجاج بأنّه: تقنية خطابية وممارسة فكرية الهدف منها بناء واقع جديد يُقنع به المتكلم جمهوره، والتمثيل إحدى هذه التقنيات، ويعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو اثبات حقيقة عن طريق تشابه العلاقات، فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر.

وتكمن الحِجاجية في التمثيل؛ كونه ينطوي على قدرة إقناعيه تأتي من بنيته من جانب، ومن المادة المستمد منها التمثيل من جانب آخر، فلما كان التمثيل صورة، والصورة نصفها وهو المصرح به من صنع المتكلم، والآخر وهو الضمني من صنع المتلقي؛ هذا الأمر أعطاها قوة حِجاجية؛ كونها تترك محلاً شاغراً في الكلام؛ يؤدي إلى جعل الكلام نصفين: منطوقاً، ومفهوماً يأتي لمليء المحل الشاغر في الصورة. أمّا مادته فقط اكتسبت قوتها الحجاجية؛ كونها مستمدة من عالم خطاب المتلقين، فهي من المحسوس المستخرج من تجاربهم المادية وممارستهم المعيشية ومشاهداتهم العينية ومن سلوكهم اليومي، أضف إلى ذلك المجال الاعتقادي والفكري والثقافي لديهم؛ وهذا ما دفع بنا إلى الاعتماد على النصوص القرآنية كمادة للبحث؛ كون القران الكريم مثّل ذلك اصدق تمثيل.

وبناءً عليه تولّدت فكرة البحث، إذ دفع بنا الفضول العلمي للكشف عن الوجه الحجاجي لمادة التمثيل، والطريقة التي صيغت فيها هذه المادة بحيث جعلت لها هذه القدرة الاقناعية معتمداً المنهج الوصفي التحليلي؛ فقُسِّمَ على مبحثين سبقهما تمهيد بحث أبعاد التمثيل الحِجاجية، ودرس المبحث الأول: بنية التمثيل وأشكالها الحِجاجية، فيما درس المبحث الثاني: وظيفة التمثيل الاقناعية، وخُتم بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد: التمثيلُ وأبعادُهُ الحِجاجية:

تتلخص فكرة الحجاج بكونه فعالية خطابية وممارسة فكرية يعتمدها المتكلم للتأثير في المتلقي من أجل إقناعه أو تغيير معتقده أو سلوكه معتمداً على وسائل وتقنيات بلاغية، لبناء واقع جديد يُقنِع به المتكلم جمهوره عبر بيان مفاهيمه التصورية وتصديقاته الفكرية، ويُبنى هذا الواقع بطريقتين هما[١]:

أولاً: طرائق الفصل: وهي التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة، وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكّل عادة كلّاً لا يتجزأ أو على الأقل كلّاً متضامنة أجزاؤه في نطاق فكري واحد؛ فيحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكوّنة له بحمل أعراضه على جوهره ومحاكمة ظاهره في ضوء حقيقته، ومن هذه الاشكال: الحجج شبه المنطقية، وحجة التماثل، والحجج التي تعتمد العلاقات الرياضية.

ثانياً: طرائق الوصل: وهي التقنيات التي تقرّب بين العناصر المتباينة، وتمكّن من إقامة روابط علاقية بينها كي يمكن دمجها في بنية حِجاجية متماسكة وموحدة، ومن هذه الاشكال: الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع مثل: الشاهد، والتمثيل، والاستعارة، وسوف يقتصر بحثنا على حجة التمثيل من الحجج المؤسسة لبنية الواقع، لارتباطها الوثيق بالواقع، فهي لا تتأسس على الواقع، ولا تُشيّد على بنيانه، بل هي التي تؤسس الواقع وتبنيه، أو على الأقل تُكمله وتُظهر ما خَفي من علاقات بين اشيائه، أو تجلي مالم يُتوقع من هذه العلاقات، وما لم يُنتظر من صلات بين عناصره ومكوناته.

فالمتكلم بهذه الحجج يحاول انشاء صور واقعية جديدة لإقناع المتلقي والتأثير عليه، عبر تقديم رابط غير مباشر بين عناصر من الواقع؛ ليكون جسراً بين العناصر التي يقبلها المتلقي، وبين الرأي المقترح من المتكلم؛ فيُعيد بناء الاساسات الكاملة للواقع[٢]، ففي الآية:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾[٣]؛ نجد التمثيل حاصل بين المشركين وعلاقتهم بأوليائهم فهي علاقة غير مستقرة ومهددة، وبين انثى العنكبوت وعلاقتها ببيتها –والمقصود هنا أفراد عائلتها–وكيف هي علاقة واهية، فالمعروف عن أنثى العنكبوت انّها تقتل ذكرها عند التزاوج، وعندما تَلِد أبنائها يقتلونها وهكذا هي دورة حياة العنكبوت. وعليه يكون المسار الحجاجي لهذه الآية هو:

التمثيل	العناصر المعطاة المتلقي	الرأي المقترح المتكلم	الرابط الحجاجي	النتيجة
مثل الذين يتخذون من دون الله أولياء مثل العنكبوت اتخذت بيتاً وأوهن البيوت بيت العنكبوت	العنكبوت وعلاقتها ببيتها	المشركون وعلاقتهم بأوليائهم	عدم الثبات والاستقرار	فالذي يولي امره لغير الله لن يكون له أساس يثبت عليه ولن يستقر وسوف يبقى مهدد وقلق، كحال انثى العنكبوت ليس لديها بيت ولا حياة مستقرة.

وتظهر أهمية التمثيل في تأسيس الواقع؛ في قدرته على كشف علاقات جديدة أو إيجاد علاقات لم تكن موجودة بين الخطاب والواقع، على أساس إنّ التفاعل الحاصل عند الربط بين المثيل يؤثر على الموضوع، ويتجلى هذا التأثير بطريقتين[٤]، عبر:

١–نقل البنية: فمن خلال عناصر بنية المثيل التي هي (ج د) يمكن أنّ نستنتج عناصر بنية الموضوع التي هي (أ ب) بعد المقابلة بينهما، ففي الآية:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ

يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾[٥]؛ نجد:

أ = الذين حُمّلوا التوراة (اليهود)

ب = التوراة

ج = الحمار

د = الاسفار

فالتمثيل هو: اليهود في علاقتها بالتوراة كُلّفوا علمها ولم ينتفعوا به مثل الحمار في علاقته بالأسفار يحملها ولا علم له بمحتواها ولا نفع له به، فحالهم وهم يحملون التوراة (يحفظونها دون ان يفقهوه منها شيئاً) ولا ينتفعون بها، كالحمار وهو يحمل الاسفار مع ما فيها من معلومات وعلم ومعرفة، ويسير بها من مكان إلى آخر دون ان ينتفع بعلمها.

٢-نقل القيمة: فالقيمة المترتبة على المثيل تنتقل إلى الموضوع، لان المعنى الوارد في المثيل هو الذي يوجّه الدلالة في الموضوع، فجعل الدلالة في قول: (الحمار يحمل أسفاراً) ذات قيمة سلبية؛ ينعكس على حال اليهود في حملهم للتوراة؛ فيُعاد بناء التمثيل على النحو الآتي: مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها، كمثل الحمار يحمل أسفاراً ولا يحملها؛ فالغرض تمثيل حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة؛ فالعملية إذن توضيح موضوع بوساطة التمثيل له، ونقل قيمة المثيل إلى الموضوع[٦].

المبحث الأول: بنيةُ التمثيل وأشكالها الحِجاجية:

تُعرّف الحجة بأنّها: دليل ذهني يُقدّم لإثبات قضية أو دحضها. ترد على شكل قول أو فقرة أو نص، وقد تكون مشهداً طبيعياً، أو سلوكاً غير لفظي إلى غير ذلك، وربما تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق. تنطلق من مقدمات تسلّم بها عرفاً عند المتلقي، إذ توجد أدوات داخل المنظومة الناقلة للحجج تخضع لمفاهيم ذهنية، من خلالها يتم وضع آلية تُنقل بوساطتها الحجج خلال الظروف المحيطة بالنص، وتُحوِل الخطاب الى حالة خاصة من الملفوظية[٧].

ونقطة انطلاق التمثيل من المعطيات التي تترشح عنها الخلاصة والتي بالنتيجة تفضي إلى الحجة؛ فهو يعمل على اسناد بنية ذهنية لدى المتلقي بالتأثير الصوري عن طريق الملفوظ، الذي يحث بدوره على الاعتقاد بالفكرة المطروحة في سياق التمثيل[٨] وعلى النحو الموضّح في الآية الآتية: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾[٩]:

ت	التمثيل	المعطيات	النتيجة
١	مثل أعمال الذين كفروا مثل السراب يحسبه ماء وهو لا شيء	حال العطشان الذي يبحث عن الماء فينظر من بعيد فيخيل له إنّه ماء فيسعى إليه وعندما يصل لا يجد شيء	الكافرون لا يحصلون على نتيجة من أعمالهم فهي مثل منظر السراب الذي يُخيل للعطشان من بعيد ماء والحقيقة هو مجرد وهم لا يرجى منه نتيجة.

.فالمتكلم يستدل بعلاقة التمثيل للمرور إلى واقع جديد، ثم يستدّرج المخاطب لحثه على اثبات نتيجة مقررة سلفاً، عبر استثارة مخيلته واستدعاء خبراته؛ فيشارك في تقرير النتيجة والوصول إليها[١٠].

إنّ المماثلة تُقيم علاقة في داخل بنية التمثيل؛ فتُؤسس نوعاً من القياس الذي يقود المتلقي إلى النتيجة[١١]؛ لأنّ التمثيل عكس التشبيه، لا يُقيم تشابهاً بين عنصرين بل بين بنيتين: بنية المشبه المكوَّنة من عنصري (أ) و(ب)، وبنية المشبه به المكوَّنة من عنصري (ج) و(د)؛ فتقوم بتفكيك الأجزاء الدقيقة لبنيتي التمثيل، واستعمال الخيال لإقامة علاقة ربط بينهما، وجعل نتيجة ونهاية أحداهما، نتيجة ونهاية للأخرى[١٢]، بالقياس على بنية (ج د)، والتي هي في الآية:﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾[١٣]؛ (دورة الماء عندما ينزل من السماء ويسقي نبات الأرض فيزهر ويخضر ثم تأتيه رياح عاتية فتحرقه وتجعله حصيداً ورماداً كأن لم يكن)، وبالقياس عليها نستنتج بنية (أ ب) دورة الحياة الدنيا كذلك تخضر وتزدهر ولكن مصيرها إلى الزوال والنهاية.

المبحث الثاني: وظيفةُ التمثيلِ الإقناعية:

إنّ الغاية من الحجاج بالتمثيل هو الاقناع عبر مادته والشكل الذي صيغت فيه المادة؛ فمن المادة ومن طريقة صياغتها التمثيلية ينشأ المعنى الأول الصريح، وينشأ عنه المعنى الثاني الضمني والذي بإنشائه من قبل المتلقي يكون التمثيل قد استكمل أركانه وسُد المحل الشاغر فيه وأدى وظيفته الحِجاجية.

وبنية التمثيل تتكون من بنية المشبه أو الموضوع المراد الدفاع عنه، وبنية المشبه به أو المثيل، ووجه الشبه بين البنيتين مجهول، عقلي يستنتجه المتلقي من علاقة المماثلة؛ الامر الذي

اكسب بنية التمثيل قوتها الاقناعية؛ فكون وجه الشبه عقلي أمر يمنح المتلقي متعة كبيرة للبحث عنه واكتشافه بناءً على الجزء المصرّح المنطوق من الصورة، وعليه تكون بنية التمثيل العامة هي[١٤]:

(أ ب) ← (ج د)} وجه الشبه عقلي يستنتجه المتلقي من علاقة المماثلة.

ولما كان التمثيل تقنية خطابية تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، واستنتاج نهاية احداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها[١٥]؛ اشتُرِطَ في المماثلة أنّ تسجل علاقات في نظام الواقع الذي ينطبق عليه التمثيل؛

فالعلاقات هي التي تُعنى بتشكيل البنية التي تؤسس لواقع جديد عن طريق التشابه؛ للوصول إلى النتيجة المستخرجة من المتعدد، فهو تجسيد وتجسيم لاحد الشيئين اللذين يقارن بينهما باتفاق جزيئات مشتركة لهما، وما حضور الحجة في التمثيل إلاّ من حضور تلك العلاقة الرابطة المدمجة فيه. أي إنّ التمثيل يتواجه مع بُنى أخرى ويجلبها إليه بناءً على الاتفاق في وجه من الوجوه؛ فالوجه المشترك بينهما (وجه الشبه) هو ما يدور عليه الحجاج بالتمثيل؛ لأنّه يزيد في الحجة والتأثير[١٦].

ونلاحظ عناصر التمثيل حاضرة في الآية:﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾[١٧]، على النحو الآتي:

أ= الحياة الدنيا

ب= زوال نعيمها بعد البهجة به وتزايد نضارتها

ج= نبات الأرض

د= زوال خضرة الأرض ونضارتها وانتهاء بهجتها إلى الاضمحلال والتلاشي.

فالغرض هو: تمثيل حال الحياة في كيف تبدأ وتزهر وتستمر بالازدهار ومن ثم تضمحل وتنتهي وتزول بحال نبات الأرض في ذهابه حطاماً ومصيره حصيداً. فوجه الشبه المشترك بين البنيتين هو دورة الحياة كيف تبدأ وكيف تنتهي، فمثلما تنتهي دورة حياة النبات تنتهي دورة الحياة الدنيا.

أضف إلى ذلك فانّ لهذه البنية شكلين مختلفين تنطوي على طاقة اقناعية أيضاً هما[١٨]:

الشكل الأول: (Ø ب) بنية المشبه، و(ج د) بنية المشبه به: ويكون فيه (أ) (Ø)، أيّ محل شاغر، فنلاحظ في الآية:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾[١٩]، غياب العنصر (ب) من بنية المشبه، وكما موضحّ:

أ = المنفقون أموالهم في سبيل الله

ب = Ø

ج = حبة القمح

د = سنابلها

فالغرض هو: تمثيل زيادة أموال المنفقين منها في سبيل الله بمضاعفة نمو حبة القمح الواحدة إلى سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة؛ وبالقياس على بنية (ج د) (زيادة نمو حبة القمح) نملأ العنصر (ب) فيكون المعنى (مضاعفة أموالهم).

والشكل الثاني: (Ø Ø)، بنية المشبه و(ج د) بنية المشبه به: وتكون فيه البنية المشبهة بأكملها محل شاغر

(Ø Ø). ومثال عليه الآية:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾[٢٠]، وكما موضّح:

أ = Ø

ب = Ø

ج = الماء المُنزّل من السماء

د = يروي الأرض ويسقي النبات فيخرج الزرع فينمو ويزهر ثم يصفّر ويذبل لانتهاء دورة حياته.

فالغرض من التمثيل هو: إنّ الحياة الدنيا زائلة مثلما بدأت لابد ولها نهاية، ومهما ازدهرت وزادت بهجتها، تتراجع وتضمحل إلى أنّ تزول؛ فلكل شيء بداية ونهاية، مثل النبات يبدأ بحبة صغيرة تنمو وتزدهر وتكبر شيئا فشيئاً، ثم يَصفر ويذبل ويموت؛ وبناءً عليه تكون عناصر بنية (أ ب) هي (الحياة الدنيا) و(بهجتها ونعيمها).

فمدار الحجاج أذن في هذين الشكلين على المحل الشاغر، فهو المطلوب من وراء التصوير؛ ومما يؤيد ذلك طيُّهُ وبقاؤه ضمنياً مخفيا يدعو المتلقي للبحث عنه، انطلاقاً من عناصر الصورة التي هي (ج د)، والسبب في إبقائه ضمنياً يتوصل إليه عبر مسار حجاجي، أنّ مضمونه معلومة جديدة بالنسبة للمتلقين؛ لهذا سُلكت إلى إيصال هذه المعلومة الجديدة وتبليغها للمتلقي سبيل فيها استدراج له من خلال ما ينشأ عن العنصر (ج د) من مفهوم ضمني ينشأ هو نفسه عن مفهوم أول للصورة، ويأتي لملء ذلك المحل الشاغر[٢١].

إنّ استخدام التمثيل يؤدي إلى ظهور المفهوم، والذي يستمد طاقته الحِجاجية من كونه يدفع المتلقي لإنتاج الدلالة في الكلام، موجهاً إياه بواسطة المقام الذي يُلقى فيه الملفوظ نحو دلالة محددة عليه أن يستخرجها، وحاملاً إياه على مواصلة منطق الحوار في الاتجاه الذي يفرضه المتكلم بواسطة أداة الربط والاستنتاج (اذن)[٢٢]. فلما كان التمثيل صورة، والصورة كلام نصفه وهو المصرح به من صنع المتكلم، ونصفه الآخر وهو الضمني من صنع المتلقي؛ أعطى

للصورة قدرة حِجاجية؛ كونها تترك محلاً شاغراً في الكلام؛ يؤدي إلى جعل الكلام نصفين: منطوقاً، ومفهوماً يأتي لمليء المحل الشاغر[٢٣].

فالباعث على نشوء المفهوم هو شكل الصورة، إذ إنّ احتوائها على محل شاغر؛ يحث المتلقي ويضطره إلى وجوب ملئه من خلال المفهوم، فهي منه وإليه يعلم كنهها ويدرك أبعادها؛ فيخضع لمنطق كلامها بواسطة أداة الاستنتاج (اذن) من أجل التوصل إلى المفهوم منه[٢٤].

ويتم الوصول إلى المفهوم عبر مرحلتين؛ فهما مفهومان لا مفهوم واحد، وهذان المفهومان هما[٢٥]:

المفهوم الأول: وهو المفهوم الناشئ عن العنصر الذي وقع بواسطته التصوير (ج د).

المفهوم الثاني: وهو ناشئ عن المفهوم الأول منبنٍ عليه، فهو مفهوم المفهوم، ويؤتى به لملء المحل الشاغر بعد أن يكون المفهوم الأول قد ساعد عليه وجعل السبيل مؤدية إليه.

والعلاقة بين المفهومين (المفهوم الأول والمفهوم الثاني) ذات طابع حجاجي دقيق؛ لأن المفهوم الأول يأتي بمنزلة المقتضى بالنسبة للمفهوم الثاني، والسبب في ذلك[٢٦]:

اولاً: إنّ المفهوم الأول لا يُهتدى إليه بواسطة أداة الاستنتاج (اذن)؛ لأنه ليس واقعاً خارج اللفظ وإنما هو (مفهوم من جملة الصفات التي يثيرها استخدام لفظ ما عند الفرد أو عند جماعة بالذات) **أيّ** إنّه مفهوم ذاتي.

ثانياً: إنّ العنصر الذي يحصل بواسطته التصوير (ج د) لما كانت ملامحه الدلالية معلومة مشهورة متداولة مسلّما بها؛ أمكن له أن يُسيّر بقية الحوار تسييراً معيّناً وأن يرسم اتجاهاً مخصوصاً يواصل المتلقي السير فيه معتمداً أداة الاستنتاج (اذن)؛ فيتولد عن المفهوم الأول، المفهوم الثاني الذي يملأ المحل الذي بقي فارغاً ينتظر من المتلقي أن يملأه فيَرِدّ على الكلام انسجامه؛ وبحصول هذا الانسجام يحصل الاقناع أو يحصل الاعداد له على الأقل.

وبناءً عليه تكون طريقة ملء المفهوم للمحل الشاغر، أنّه يملأه المفهوم الثاني في ضوء المفهوم الأول الحاصل من السياق اللغوي بالحضور. وتنطبق هذه الطريقة على الشكلين (أ Ø) ← (ج د)، و(ØØ) ← (ج د) معاً [٢٧]، وفق المسار الحجاجي المبين في الأمثلة الواردة في الجدول الآتي:

ت	الآية	التمثيل	المفهوم الأول من (ج د)	المفهوم الثاني الحاصل من المفهوم الأول
١	﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ	تمثيل حال الكافرين الذين يُنفقون أموالهم في الحياة الدنيا بريح عاتية مهلكة تهب	ظلم النفس والهلاك	أذن: الكافرون لا يرجون نفعاً من انفاقهم، بل ان هذا الانفاق

	وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾[٢٨]	على قوم ظالمين لأنفسهم فتحرقهم وتهلكهم		يجلب لهم الهلاك والظلم لأنفسهم.
٢	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾[٢٩]	تمثيل حال من يدعو الذين كفروا الى الايمان بحال الناعق بالبهائم وعدم سماعهم له وعدم استجابتها له.	عدم الاستجابة وضياع جهد الداعي سُدى	اذن: الكافرون لا يستجيبون الى دعوة الإسلام وداعيهم لا يؤوب من دعوتهم بشيء.
٣	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾[٣٠]	تمثيل حال من يعبدون ويتخذون أولياء من دون الله بمقارنة بين عبد مملوك لشخص، وشخص آخر حر	العبد المملوك مقيد ومحكوم من قبل سيده ولا حول له ولا قوة ولا يملك من أمر نفسه شيء، والشخص الحر يملك زمام اموره ويملك رزق خالص له يصرفه كيف يشاء.	أذن: الذي يولي امره لغير الله ويعتصم بغير الله ويطلب العون من غير الله يكون مملوك ومقيد لا حول له ولا قوة ولا يقدر على شيء مثل حال العبد المملوك.

أمّا مادة التمثيل فهي في الغالب من المحسوس، ولكنه ليس أي محسوس فهي إذ تُقنع أو تكون منطوية على طاقة اقناعية لا تكون كذلك لأنّها من الحس فحسب، بل لإنّ هذا الحس نفسه مستخرج من تجارب المتلقين المادية وممارستهم المعيشية ومشاهداتهم العينية ومن سلوكهم اليومي[٣١]. والتمثيل في القرآن مخرج على ما هو حقيقة عقلية وواقع عملي عندهم فمن الواقع العملي في حياتهم جيء بالمادة التصويرية لتكون شأن المادة التصويرية المستمدة من معتقداتهم ومخيلتهم ذات غاية اقناعية وتأثيرية[٣٢].

وبناءً عليه تكون مادة التمثيل مستمدة من مصدرين: الأول: هو الجوانب المجردة من حياة المتكلمين مثل الجانب النفسي والعقدي والثقافي وكما وارد في الآيات: ﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾[٣٣].

والمصدر الثاني: هو مجال المحسوس أي مجال حياة المتلقي اليومية بمختلف الأنشطة الاقتصادية التي تمارس فيها من زراعة وتجارة ورعي، وكما وارد في الآيات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾[٣٤].

الخاتمة:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١-تكمن حِجاجية التمثيل في بنائه وتأسيسه لواقع جديد، وإيجاد علاقة جديدة بينه وبين الخطاب، لم تكن موجودة من قبل عبر نقل بنية المثيل وقيمته الى الموضوع.

٢-إنّ وجه الشبه (الوجه المشترك) ما بين المثيل والموضوع هو ما يدور عليه الحجاج بالتمثيل؛ لأنّه يزيد في الحجة والتأثير.

٣-إنّ الوجه الحجاجي لأشكال التمثيل هو المحل الشاغر؛ فهو المطلوب من وراء التمثيل؛ ومما يؤيد ذلك طيُّهُ وبقاؤه ضمنياً مخفياً يدعو المتلقي للبحث عنه، انطلاقاً من عناصر الصورة التي هي (ج د).

٤-إنّ الغاية من الحجاج بالتمثيل هو الاقناع الموجود فيه؛ والذي جاء من مادته من جانب، كونّها مستمدة من حياة المتلقين العملية وممارستهم المعيشية ومن سلوكهم اليومي، أضف إلى ذلك الجوانب المجردة من حياتهم، والمتمثلة بالمجال الثقافي والعقدي والرمزي. ومن بنيته من جانب آخر، حيث لما كان التمثيل صورة فهي مكونة من جزئيين جزء مصرّح به أو منطوق من صنع المتكلم، والجزء الاخر الضمني منه المخفي الذي يدفع المتلقي للبحث عنه واكتشافه؛ وهذا ما اعطى للتمثيل هذه القوة الاقناعية.

٥-إنّ ممّا زاد مادة التمثيل قوة حِجاجية هو المصدر المنتقى منها، فقد اعتمد البحث على النصوص القرآنية كونها أصدق مصدر صوّر ومثّل حياة الناس في مختلف مجالاتها الحسية والثقافية والعقدية والرمزية.

الهوامش:

١-يُنظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل-بحث في الاشكال والاستراتيجيات، علي الشبعان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠: ١٦٥، وأهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، اشراف حمادي صمود، كلية الاداب منوبة، تونس: ٣٢٤-٣٢٥، وفي نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني، تونس، ط١، ٢٠١١: ٤١-٤٢، والحجاج في البلاغة المعاصرة -بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨: ١٣١-١٣٢.

٢-يُنظر: الحجاج في قصص الامثال القديمة-مقاربة سردية تداولية، عادل عبد علي الغامدي، كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ٢٠١٥: ١٩٤.

٣-العنكبوت: ٤١.

٤-يُنظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتييه، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١: ٥٤-٥٥، وفي حجاج النص الشعري، محمد عبد الباسط عيد، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣: ١٩.

٥-الجمعة: ٥.

٦-يُنظر: اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي-تنظير وتطبيق على السور المكية، مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٥: ١٦٧.

٧-يُنظر: خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤، ط١: ٦٢. والنظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥: ٨.

٨-يُنظر: اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: ١٦٥.

٩-النور: ٣٩-٤٠.

١٠-يُنظر: الحجاج في قصص الامثال القديمة: ١٩٨.

١١-يُنظر: اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: ١٦٧.

١٢-يُنظر: في بلاغة الخطاب الاقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، محمد العمري، افريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢: ٨٣.

١٣-الكهف: ٤٥.

١٤-يُنظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١٣٢.

١٥-يُنظر: الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة -بنيته واساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتاب الحديث، ط١، ٢٠٠٨: ٢٥٢.

١٦-يُنظر: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦: ٢٩.

١٧-يونس:٢٤.

١٨-يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط١/ ٢٠٠١، ٥٥٢-٥٥٣.

١٩-البقرة:٢٦١.

٢٠-الزمر:٢١.

٢١-يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية: ٥٥٥-٥٥٦.

٢٢-يُنظر: المرجع نفسه: ٥٥٦-٥٥٧.

٢٣-يُنظر: الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠: ١٩.

٢٤-يُنظر: المرجع نفسه: ٢٠.

٢٥-يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية: ٥٥٢-٥٥٣.

٢٦-يُنظر: المرجع نفسه: ٥٥٤.

٢٧-يُنظر: المرجع نقسه: ٥٧٠.

٢٨-آل عمران: ١١٧.

٢٩-البقرة: ١٧١.

٣٠-النحل: ٧٥.

٣١-يُنظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية: ٥٠٠.

٣٢-يُنظر: المرجع نفسه: ٥٠١.

٣٣-الأعراف: ١٧٥-١٧٧.

٣٤-البقرة: ٢٦٤-٢٦٦.

المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم.

٢-الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠.

٣-حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، كلية الاداب منوبة، تونس.

٤-حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.

٥-سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة -بنيته واساليبه، عالم الكتاب الحديث، ط١، ٢٠٠٨.

٦-عادل عبد علي الغامدي، الحجاج في قصص الامثال القديمة-مقاربة سردية تداولية، كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ٢٠١٥.

٧-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٤.

٨-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٩-عبدالله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني، تونس، ط١، ٢٠١١.

١٠-علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل-بحث في الاشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٠.

١١-فيليب بروتون، وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١.

١٢-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة -بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨.

١٣-محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣.

١٤-مثنى كاظم صادق، اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي-تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٥.

١٥-محمد طروس، النظرية الحِجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.

١٦-محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، افريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢.

Sources and References

1-The Holy Qur'an.

2- Al-Wali Muhammad, The Poetic Image in Rhetorical and Critical Discourse, Arabic Cultural Center, Beirut, Casablanca, 1st ed., 1990.

3- Hammadi Samoud, The Most Important Theories of Argumentation in Western Traditions from Aristotle till now, Faculty of Arts, Manouba, Tunisia.

4- Hamou Al-Naqari, Argumentation: Its Nature, Fields and Functions, Faculty of Arts and Humanities in Rabat, Al-Najah New Printing Press-Casablanca, 1st ed., 2006.

5- Samia Al-Duraidi, Argumentation in Arabic Poetry from the Pre-Islamic Era to the Second Century AH - Its Structure and styles, The world of modern book? 1st ed., 2008.

6- Adel Abid Ali Al-Ghamdi, Argumentation in the Stories of Old Proverbs - A Narrative and Pragmatic Approach, Treasures of Knowledge, Jordan, 1st ed., 2015.

7- Abbas Hashani, Argumentation Discourse and Pragmatics - A Study of Ibn Badis's Literary Production, Modern world of books, Jordan, 1st ed., 2014.

8- Abdullah Soula, Argumentation in the Qur'an through its Most Important Stylistic Characteristics, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st ed., 2001.

9- Abdullah Soula, In the Theory of Argumentation - Studies and Practices, Meskeliani, Tunis, 1st ed. 2011.

10-Ali Al-Shab'an, Argumentation, Truth and Horizons of Interpretation - A Study in Forms and Strategies, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Muttahida, Beirut-Lebanon, 1st ed., 2010.

11-Philippe Breton and Gilles Gautier, The History of Argumentation Theories, translated by: Muhammad Salih Nahi Al-Ghamdi, Scientific Publishing Center, King Abdulaziz University, Jeddah, 1st ed., 2011.

12-Muhammad Salem Muhammad Al-Amin Al-Talaba, Argumentation in Contemporary Rhetoric - A Study in the Rhetoric of Contemporary Criticism, Dar Al-Kitab Al-Jadeeda Al-Muttahida, Beirut-Lebanon, 1st ed., 2008.

13-Muhammad Abdul Basit Eid, In the Argumentation of the Poetic Text, Afriqia Alsharqa, Morocco, 2013.

14-Muthanna Kadhim Sadiq, The Stylistics of Pragmatic and Rhetorical Argumentation - Theorizing and application to Meccan surahs, Dafaf Publications, Algeria, 1st ed., 2015.

15-Muhammad Tarous, Argumentation Theory through Rhetorical, Logical and Linguistic Studies, Dar Al Thaqafa, Casablanca, 1st ed., 2005.

16-Muhammad Al-Omari, In the Rhetoric of Persuasive Discourse (A Theoretical and Applied Introduction to the Study of Arabic Rhetoric), East Afriqia Alsharqa,, 2nd ed., 2002.